هجرة الرسول ﷺ

جاء في صحاح السنة وما رواه علماء السيرة أن أبا بكر رضي الله عنه لما وجد المسلمين قد تتابعوا مهاجرين إلى المدينة ، جاء يستأذن رسول الله ﷺ هو الآخر في الهجرة . فقال له رسول الله ﷺ : « على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : « وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ » قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ، وأخذ يتعهدهما بالرعاية أربعة أشهر(٥٢) .

وفي هذه الأثناء رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وخافوا أن يكون قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة (وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها) يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع رأيهم أخيراً على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ، ثم يعطى كل منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً ، وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم فأتى جبريل عليه السلام

---

(٥٢) البخاري : ٢٥٥/٤

رسول الله ﷺ يأمره بالهجرة ، وينهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة(٥٣) .

قالت عائشة فيما يروي البخاري : « فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : « هذا رسول الله ﷺ متقنعاً ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فداً له أبي وأمي . والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر » ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : « أخرِج مَن عندك » ، فقال أبو بكر : « إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله » . قال : « فإني قد أذن لي في الخروج » ، فقال أبو بكر : « فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيّ » ، قال رسول الله ﷺ : « بالثمن » .

قالت عائشة : فجهزناهما أحثّ الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق(٥٤) .

وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته .

(٥٣) سيرة ابن هشام : ١٥٥/١ وطبقات ابن سعد : ٢١٢

(٥٤) في طبقات ابن سعد : أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة منه الجراب ، وشدت فم الجراب بالباقي فسميت ذات النطاقين .

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقوله الناس عنهما في بياض النهار ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون معه من الأخبار . وأمر عامر بن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى ، إلى الغار (غار ثور) ليطعما من ألبانها ، وأمر أسماء بنته أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء .

وروى ابن إسحاق والإمام أحمد ، كلاهما عن يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر ، احتمل أبو بكر ماله كله معه : خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه » .

قالت : « فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه قال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكت الشيخ بذلك »(٥٥) .

ولما كانت عتمة تلك الليلة التي هاجر فيها النبي ﷺ اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يتربصون به ليقتلوه ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خرج من بينهم وقد ألقى الله عليهم سنة من النوم بعد أن ترك

(٥٥) سيرة ابن هشام : ٤٨٨/١ وترتيب مسند الإمام أحمد : ٢٨٢/٢٠

علياً رضي الله عنه في مكانه نائماً على فراشه ، وطمأنه بأنه لن يصل إليه أي مكروه .

وانطلق رسول الله وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور ليقيما فيه ، وكان ذلك على الراجح في اليوم الثاني من ربيع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة (٦٢٢ م) بعد أن مضى ثلاث عشرة سنة من البعثة ، فدخل أبو بكر قبل الرسول ﷺ فلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فأقاما فيه ثلاثة أيام ، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بأخبار مكة ، ثم يُدلج من عندهما بِسَحَرٍ فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها ، وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من الغنم ، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر أثره بالغنم كي لا يظهر لقدميه أثر .

أما المشركون فقد انطلقوا ـ بعد أن علموا بخروج النبي ﷺ - ينتشرون في طريق المدينة ويفتشون عنه في كل المظانّ ، حتى وصلوا إلى غار ثور ، وسمع الرسول وصاحبه أقدام المشركين تخفق من حولهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث النبي ﷺ : « لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا » . فأجابه عليه الصلاة والسلام : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »[٥٦] .

فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يحن لأحد منهم التفاتة إلى ذلك الغار ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخله ..

---

(٥٦) متفق عليه .

ولما انقطع الطلب عنهما خرجا ، بعد أن جاءهما عبد الله بن أرقط (وهو من المشركين ، كانا قد استأجراه ليدلهما على الطرق الخفية إلى المدينة بعد أن اطمأنّا إليه ، وواعداه مع الراحلتين عند الغار) فسارا متبعين طريق الساحل بإرشاد من عبد الله بن أرقط .

وكان قد جعل مشركو مكة لكل من أتى برسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل منهما .

وذات يوم ، بينما كان جماعة من بني مدلج في مجلس لهم ، وبينهم سراقة بن جعشم ، إذ أقبل إليهم رجل منهم فقال : إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه . فعرف سراقة أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثني عزم غيره عن الطلب ، فقال له : إنك قد رأيت فلاناً وفلاناً ، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالّة لهم . ثم لبث في المجلس ساعة ، وقام فركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول فعثرت به فرسه فخرَّ عنها ، ثم ركبها ثانية وسار حتى صار يسمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، فساخت قائمتا فرس سراقة في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخرّ عنها ثم زجرها حتى نهضت ، فلم تكد تُخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ارتفع في السماء مثل الدخان ، فعلم سراقة أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ ، وداخله رعب عظيم ، فناداهما بالأمان .

فوقف عليه الصلاة والسلام ومن معه حتى وصل إليهم ، فاعتذر إليه وسأله أن يستغفر له ، ثم عرض عليهما الزاد والمتاع ، فقالا له : لا حاجة لنا ، ولكن عمِّ عنا الخبر ، فقال : كُفيتم(٥٧) .

---

(٥٧) متفق عليه ، والتفصيل للبخاري : ٤/٢٢٥ ـ ٢٥٦

ثم عاد سراقة أدراجه إلى مكة وهو يصرف أنظار الناس عن الرسول ومن معه بما يراه من القول ... وهكذا انطلق إليهما في الصباح جاهداً في قتلهما ، وعاد في المساء يحرسهما ويصرف الناس عنهما .

قدوم قباء

ووصل رسول الله ﷺ قباء ، فاستقبله من فيها وأقام فيها بضعة أيام نازلاً على كلثوم بن هدم ، حيث أدركه فيها علي رضي الله عنه بعد أن أدّى عنه الودائع إلى أصحابها . وأسس النبي ﷺ هناك مسجد قباء ، وهو المسجد الذي وصفه الله بقوله : ﴿ لمسجدٌ أُسِّسَ على التَّقْوى مِنْ أوَّلِ يومٍ أحقٌّ أنْ تقومَ فيهِ .. ﴾ الآية [التوبة ١٠٨/٩] .

ثم واصل سيره إلى المدينة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على ما ذكره المسعودي[٥٨] فالتفَّت من حوله الأنصار ، كل يمسك زمام راحلته يرجو النزول عنده فكان ﷺ يقول لهم : « دعوها فإنها مأمورة » ، فلم تزل راحلته تسير في فجاج المدينة وسككها حتى وصلت إلى مربد[٥٩] لغلامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري ، فقال النبي ﷺ : « ههنا المنزل إن شاء الله » . وجاء أبو أيوب فاحتمل الرحل إلى بيته ، وخرجت ولائد من بني النجار ـ فيما يرويه ابن هشام ـ فرحات بمقدم النبي ﷺ ، وجواره لهن ، وهنّ ينشدن :

---

(٥٨) مروج الذهب : ٢٧٩/٢ ، ط بيروت .

(٥٩) أرض يجفف فيها التمر .

الأساس الأول (بناء المسجد)

لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض ، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد عليه الصلاة والسلام .

ولذا فقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ ، أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة ولقد كانت هذه الأسس ممثلة في هذه الأعمال الثلاثة التالية :

أولاً : بناء المسجد .

ثانياً : المؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة .

ثالثاً : كتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم ، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة .

وسنبدأ ، فنتحدث عن بناء المسجد أولاً :

« قلنا فيما مضى : إن ناقته ﷺ بركت في موضع كان لغلامين يتيمين من الأنصار ، وكان أسعد بن زرارة قد اتخذه مصلّى قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فكان يصلّي بأصحابه فيه . فأمر رسول الله ﷺ أن يبنى ذلك الموضع مسجداً ، ودعا الغلامين ـ وكانا في كفالة أسعد بن زرارة رضي الله عنه ـ فسام رسول الله ﷺ فيه ، فقالا :

بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير[1] .

وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين ، فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنُبشت وبالنخيل والشجر فقُطعت ، وصفّت في قبلة المسجد ، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع ، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه ، ثم بنوه باللبن ، وكان رسول الله ﷺ يباشر البناء مع أصحابه وينقل معهم الحجارة بنفسه ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل عُمُدَه الجذوع ، وسقَفَه بالجريد . وقيل له : « ألا نسقفه ؟ » .

فقال : « عريش كعريش موسى : خشيبات وثمام ـ نبت ضعيف قصير ـ الشأن أعجل من ذلك »[2] أما أرضه ، فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء .

وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ، أنه ﷺ كان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم ، قال : « ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ من بني النجار فجاؤوا ، فقال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، فقال

(١) رواه البخاري : ٤/٢٥٨ وابن سعد في الطبقات : ٢/٤ وانظر إعلام الساجد في أحكام المساجد للزركشي : ص ٢٢٣ ، وغيره من كتب السيرة . إلا أنه ليس في البخاري أن الرسول ابتاعه منهما بعشرة دنانير . قال في الفتح : ووقع عند موسى بن عقبة أنه اشتراه منهما بعشرة دنانير . وزاد الواقدي أن أبا بكر دفعها لهما عنه .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢/٥

أنس : فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل . فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع ، قال : فصفوا النخل قبلة المسجد قال : وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم وهو يقول : اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة »[٣] .

وقد ظل مسجد رسول الله ﷺ على هذا الشكل دون أي زيادة أو تغيير فيه مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ثم زاد فيه عمر رضي الله عنه بعض التحسين . ولكنه بناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً . ثم غيّره عثمان رضي الله عنه ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (الجص)[٤] .

العبر والدلائل :

نأخذ من هذا الذي ذكرناه دلائل هامة نجملها فيما يلي :

١ ـ مدى أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية :

فقد أقبل رسول الله ﷺ ، بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها ، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك ، يتألف من هؤلاء المسلمين ، الأنصار والمهاجرين الذين جمعتهم المدينة المنورة . فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر : بناء المسجد .

ولا غرو ولا عجب ، فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي ، ذلك

(٣) البخاري : ١/١١١

(٤) إعلام الساجد : ٢٢٤ ـ ٢٢٥

أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه . وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه .

إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين . ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد ، فما لم يتلاق المسلمون يومياً ، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله ، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار ، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم .

إن من نظام الإسلام وآدابه ، أن تشيع روح المساواة والعدل فيما بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم . ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن يتم مالم يتلاق المسلمون كل يوم صفاً واحداً بين يدي الله عز وجل ، وقد وقفوا على صعيد مشترك من العبودية له ، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد جلّ جلاله ، ومهما انصرف كل مسلم إلى بيته يعبد الله ويركع له ويسجد دون وجود ظاهرة الاشتراك والاجتماع في العبادة ، فإن معنى العدالة والمساواة لن يتغلب في المجتمع على معاني الأثرة والتعالي والأنانية .

وإن من نظام الإسلام وآدابه ، أن ينصهر أشتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه ، ولكن مالم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بها عن معرفة وعلم ، فإن وحدتهم تؤول إلى شتات ، وسرعان ماتفرقهم عن بعضهم الشهوات والأهواء .

فمن أجل تحقيق هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة ، أسرع رسول الله ﷺ قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد .

٢ ـ حكم التعامل مع من لم يبلغوا سن الرشد من الأطفال والأيتام :

استدل بعض الفقهاء وهم الحنفية بهذا الحديث على صحة تصرف غير البالغ(٥) ، ووجه الدلالة على ذلك أن النبي ﷺ اشترى المربد من الغلامين اليتيمين ، بعد أن ساومها ، ولو لم يصح تصرفها لما اشترى منها .

---

(٥) إعلام الساجد : ٢٢٣

غير أن الذين ذهبوا إلى عدم صحة تصرف غير البالغ سن الرشد ـ وهم جمهور الفقهاء ـ استدلوا بقوله تعالى : ﴿ ولا تَقْرَبوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ ﴾ [الأنعام ١٥٢/٦] ، أما حديث شراء المربد فيجاب عنه بجوابين :

أولهما : أنه جاء في رواية ابن عيينة أن النبي ﷺ كلم عمهما اللذين كانا في حجره وكفالته وابتاعه منهما بواسطته(٦) فلا حجة فيه لما ذهب إليه الحنفية .

ثانيهما : أن للنبي ﷺ ولايةً في مثل هذه الأمور ، وأنه عليه الصلاة والسلام إنما اشترى الأرض منهما بوصف كونه ولياً عاماً لجميع المسلمين ، لا بوصف كونه فرداً منهم .

٣ ـ جواز نبش القبور الدارسة ، واتخاذ موضعها مسجداً إذا نظفت وطابت أرضها :

ذكر الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث فقال : فيه جواز نبش القبور الدارسة وأنه إذا أزيل ترابها المختلط بصديدهم ودمائهم جازت الصلاة في تلك الأرض ، وجوازُ اتخاذ موضعها مسجداً ، إذا طيبت أرضه .

كما أن الحديث يدل على أن الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست ، يجوز بيعها وأنها باقية على ملك صاحبها ، وورثته من بعده إذا لم توقف(٧) ، وقد قال علماء السيرة عن تلك القبور التي كانت في المربد أنها كانت قبوراً قديمة دارسة ، فلا يتأتى فيها تصور الصديد والدم ، ومع ذلك فقد نُبشت وأزيل مافيها من بقايا .

قلت : ومحل جواز نبش القبور الدارسة واتخاذ أرضها مسجداً ، إذا لم تكن الأرض وقفاً ، أما إذا كانت كذلك فلا يجوز تحويلها إلى شيء آخر غير ماوُقفت له .

٤ ـ حكم تشييد المساجد ونقشها وزخرفتها :

والتشييد أن تقام عمارة المسجد بالحجارة وشبهها مما يزيد في قوة بنائه ومتانة سقفه وأركانه ، والنقش والزخرفة ماجاوز أصل البناء من شتى أنواع الزينة .

---

(٦) فتح الباري بشرح البخاري : ١٧٥/٨

(٧) إعلام الساجد : ٢٣٦

فأما التشييد فقد أجازه واستحسنه العلماء عامة ، بدليل مـا فعلـه عمر وعثمان رضي الله عنهما من إعـادة بنـاء مسجـده عليـه الصلاة والسلام ، وهـو وإن كان شيئـاً لم يفعلـه رسـول الله ﷺ ، إلا أن عـدم فعلـه لم يـدل على المفهـوم المخـالف . أي المنـع من التشييـد والتقوية ، إذ لا يتعلق بهما وصف يخل بالحكمة التي من أجلها شُرع بناء المسـاجـد ، بل إن في ذلك زيادة في العناية والاهتمام بشعائر الله تعـالى . واستـدل العلمـاء أيضـاً على ذلـك بقولـه تعالى : ﴿ إنّما يَعْمُرُ مسـاجِـدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بـاللهِ واليومِ الآخِرِ ﴾ [التوبـة ١٨/٩] ، والعمارة إنمـا تكون بالتشييد وتقوية البناء والعناية به .

وأما النقش والزخرفة ، فقد أجمع العلماء على كراهتها ، ثم هم في ذلك بين محرّم ومكرّه كراهة تنزيه ، غير أن الذين قالوا بالحرمة والذين قالوا بالكراهـة اتفقوا على أنـه يحرم صرف المال الموقوف لعمارة المساجد على شيء من الزخرفة والنقش ، أمـا إذا كان المـال المصروف على ذلـك من البـاني نفسـه فيرد الخلاف فيـه ، وقـد ذكر الزركشي نقلاً عن الإمـام البغـوي أنـه لا يجوز نقش المسجد من غلة الوقف ، ويغرم القيّم إن فعله ، فلو فعله رجل بمـالـه كُره لأنـه يشغل قلب المصلين(٨) .

والفرق بين عموم التشييد وخصوص الزخرفة والنقش واضح .

فالأول كما قلنـا لا يترتب عليـه وصف أو معنى يخل بـالحكمـة التي من أجلهـا شرع بنـاء المسجد . أما الزخرفة والنقش فإن كلاً منهما يترتب عليه معنى يخل بـالحكمـة ، إذ من شـأنـه صرف قلـوب المصلين عن الخشـوع والتـدبر وشغلهـا بمظـاهر الـدنيـا ، على حين يقصـد من الدخول في المسجد الهرب من التصورات الدنيوية وتفريغ البال من زينتها ومغرياتها .

وهذا مانبه إليـه عمر رضي الله عنـه . فقـد روى البخـاري في صحيحـه أنـه أمر ببنـاء مسجد فقال : « أكنّ الناس من المطر وإياك أن تحمّر أو تصفّر ، فتفتن الناس » .

وقد اختلف العلماء في كتابة آية من القرآن في قبلة المسجـد هل هي داخلـة في النقش الممنوع أم لا ؟ يقول الزركشي في كتابه إعلام الساجد :

---

(٨) هذا عند فقهاء الشافعية ، وأجاز ذلك الحنفية وغيرهم إذا اقتضت المصلحة .

« ويكره أن يكتب في قبلة المسجد آية من القرآن أو شيئاً منه ، قال مالـك ، وجوزه بعض العلماء ، وقال : لابأس بـه ، لما روي من فعل عثمان ذلـك بمسجد رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك عليه »(٩) .

ومما ذكرناه يتبين لك خطأ ما يعمد إليه كثير ممن يهتمون بتعمير المساجد وتشييدها اليوم ، حيث ينصرفون بكل جهودهم إلى التفنن في تزيينها ونقشها وإضفاء مختلف مظاهر الأبهة عليها ، حتى أن الداخل إليها لا يكاد يستشعر أي معنى من ذل العبودية لله عز وجل ، وإنما يستشعر ما ينطق به لسان حالها من الافتخار بما ارتقى إليه فن الهندسة المعمارية ، وفنون الزخرفة العربية .

ومن أسوأ نتائج هذا التلاعب الشيطاني ببسطاء المسلمين ، أن الفقراء لم يعودوا يستطيعون أن يتهربوا من مظاهر الإغراء الدنيوي إلى أي جهة ، لقد كان في المساجد ما يعزي الفقير بفقره ، ويخرجه من جو الدنيا وزخرفها إلى الآخرة وفضلها ، فأصبحوا يجدون حتى في مظهر هذه المساجد ما يذكّرهم بزخارف الدنيا التي حُرموها ويشعرهم بنكد الفقر وأوضاره .

فيالله ، ماأسوأ ماوقع فيه المسلمون من هجران لحقائق إسلامهم وانشغال بمظاهر كاذبة ظاهرها الدين وباطنها الدنيا بكل مافيها من شهوات وأهواء .

الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين)

ثم إن الرسول ﷺ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواساة ، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات ، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم .

فجعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وجعل أبا بكر الصديق رضي الله

(٩) إعلام الساجد : ص ٢٢٧

عنه وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين .. وهكذا ..[١٠] .

ثم ربط النبي ﷺ هذا التآخي بين أفراد الصحابة بنطاق عام من الأخوة والموالاة ، كما سنجد فيما بعد .

وقد قامت هذه الأخوة على أسس مادية أيضاً ، وكان حكم التوارث فيما بينهم من بعض هذه الظواهر المادية . وظلت حقوق هذا الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى ، حيث نزل في أعقابها قوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ في كتابِ اللهِ إنّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾ [الأنفال ٧٥/٨] ، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث ، ورجع كل إنسان في ذلك إلى نسبه وذوي رحمه ، وأصبح المؤمنون كلهم إخوة .

روى البخاري عن ابن عباس قال : « كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم ، فلما نزلت : ﴿ ولكلٍّ جَعَلْنا مَواليَ ﴾ نسخت . ثم قال : ﴿ والذينَ عقَدَتْ أيْمانُكُمْ ﴾ [النساء ٣٣/٤] أي من النصر والرفادة والنصيحة . وقد ذهب الميراث[١١] .

---

(١٠) انظر سيرة ابن هشام : ٥٠٤/١ وطبقات ابن سعد : ٢/٣

(١١) رواه البخاري في كتاب التفسير : ١٧٨/٥